﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾ [الكهف: 45]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

ربـطُ الـولايـةِ وجـزاءِ الـلـه، بسُرْعَةِ انْقِضاءِ الدُّنْيا، وفناءِ ما فيها

لَمّا أَتَمَّ اللّهُ ﷻ المَثَل لدُنْياهُم الخاصَّةِ بهم التي أَبْطَرَتْهُم، فكانَت سببَ شَقائِهم وهُم يَحْسِبونَ أنَّ ذلكَ عينُ سَعادَتِهم؛ ضَرَبَ مثلًا للدّارِ الدُّنْيا العامَّةِ لجَميعِ النّاسِ في قِلَّة مدَّتها وسُرْعَةِ انْقِضائِها، وأَنَّ مَن تَكَبَّر بها كانَ أخَسَّ مِنْها؛ فقالَ تَعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱضۡرِبۡ﴾: ضَرْبُ المَثَلِ: هو اعتبارُ الشَّيْءِ بغَيْرِه وتَمثيلُهُ به، والضَّربُ: هو المِثالُ[2]؛ يُقال: هذه الأشْياءُ عَلى هذا الضَّربِ، أي: عَلى هَذا المثالِ[3] ويُطلَقُ الضَّرْبُ على الوَصْفِ، ومِنْهُ قولُ اللّه تَعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[4] أي: صِفْ لَهُم مثَلَ الحياةِ الدُّنيا.

2) ﴿مَّثَلَ﴾: (مثل) تَرْجِعُ تَصاريفُها إلى مُناظَرَة الشَّيْءِ للشَّيْءِ، ومِنْهُ: المَثيلُ بمعنى النَّظير والشَّبيه، وقولُ العرَبِ: أمثلَ الأميرُ فلانًا؛ إذا قتلَهُ قِصاصًا، وذلكَ لأنَّه فعل به مِثْلَ ما كان فعلهُ بمَنْ قَتَلَهُ، ومِنْهُ أيضًا: المَثَلُ المَضْروبُ؛ لأنَّه يُذْكَرُ مورَّى به عَنْ شَبيهِه في المَعْنى[5] وأمّا المَثَلُ القرآنيُّ؛ فهو: "عِبارَةٌ عَن قولٍ في شيءٍ يُشْبِهُ قولًا في شيء

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 65.
(2) ابن الأثير، النِّهاية في غريب الحديث والأثر: (ضرب).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (ضرب).
(4) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النَّواظر، ص: 402.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (مثل).

آخَرَ، بَيْنَهُما مُشابهةٌ؛ ليُبَيِّنَ أحدُهما الآخرَ ويُصَوِّرَهُ ... وعلى هذا الوجه ما ضَرَبَ اللّهُ تعالى مِنَ الأَمثالِ"[1].

3) ﴿فَٱخْتَلَطَ﴾: (خلط) تدُلُّ اشْتِقاقاتُها عَلى دُخولِ شَيْءٍ في أَثْناءِ آخَرَ أَو في خَلَلِه عَلى وجْه الامتزاجِ[2]، ومِنْهُ المُخالَطَةُ وهيَ الامتزاجُ، ويُسَمّى الشُّركاءُ خُلَطاءَ لهَذا المَعْنى، ومِنْهُ قولُ اللّه ﷻ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: 24]، والاخْتِلاطُ في قَوْلِ اللّه تعالى: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ هو أَن يَشْرَبَ النَّباتُ مِن ذَلِكَ الماء، فيظهَرَ فيه الرّيُّ والنّضارَةُ[3].

4) ﴿هَشِيمًا﴾: (هشم) تدور تصريفاتُها عَلى تَفَتُّتِ جِرْمِ الشَّيءِ الجافِّ أَوِ الصُّلْبِ المُلْتَئِمِ الظّاهِرِ بضَغْطٍ أَوْ دَقٍّ[4]، وخصَّهُ الرّاغِبُ بكَسْرِ الشَّيْءِ الرِّخْوِ، كالنَّباتِ[5]، ومِنْ هَذا المَعْنى هَشْمُ الرّيحِ اليابِسَ مِنَ الشَّجَرِ، أي: تكسيرُها لَهُ، ومِنْهُ قولُ اللّه ﷻ: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾[6].

5) ﴿تَذْرُوهُ﴾: (ذرو) تَدُلُّ تَصْريفاتُها عَلى مَعْنَيَيْنِ كُلِّيَّيْنِ؛ أَحَدهما: إِشْرافُ شَيْءٍ عَلى آخَرَ وإِظْلالُه، والآخَر: تَساقُطُ الشَّيْءِ مُتَفَرِّقًا[7]، والذَّرْوُ: التَّفْريقُ، ومِنْهُ قولُ اللّه ﷻ: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١﴾ [الذّاريات: 1] وقولُ اللّه تعالى: ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾، أي: تُفرِّقُهُ[8].

6) ﴿مُّقْتَدِرًا﴾: (قدر) تدُلُّ تَصْريفاتُها عَلى ضِدِّ العَجْزِ، ومِنْهُ القُدْرَةُ في وصْفِ الإِنْسانِ؛ وهيَ: اسْمٌ للهَيْئَةِ التي بها يَتَمَكَّن من فِعْلِ أَمرٍ ما، والقُدْرَةُ من صِفاتِ اللّه تعالى: نَفْيُ العَجْزِ[9] واسْمُ الفاعِلِ من قَدَرَ: قادِرٌ، والقَديرُ: فعيلٌ، يُؤتى به عَلى جِهَةِ المُبالَغَةِ، والمُقْتَدِرُ: مشتقٌّ مِنَ الفِعْلِ اقْتَدَرَ؛ وهوَ أَبْلَغُ الثَّلاثة[10]، ومِنْهُ قولُ اللّه ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّـهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾.

---

(1) الرّاغب، المفردات: (مثل).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خلط).
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 14/ 33.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (هشم).
(5) الرّاغب، المفردات: (هشم).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (هشم).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذرو).
(8) أبو حيان، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ص: 130.
(9) الرّاغب، المفردات: (قدر).
(10) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: (قدر).

❁ المَعْنى الإجماليُّ:

التّمثيلُ لفناءِ الدّنيا وانصرامِها، والتّنويهُ بالقُدْرَةِ الإلَهيَّةِ وعَظَمَتِها

واضْرِبْ أيُّها الرَّسولُ للنّاسِ - خاصَّةً ذَوي الكِبْرِ مِنْهُم - صِفَةَ الدُّنْيا التي اغْتَرّوا بها في بَهْجَتِها وسُرْعَةِ انْقِضائِها، فهيَ كَمَطَرٍ أَنْزَلَهُ اللّهُ تعالى مِنَ السَّماءِ، فخَرجَ به النَّباتُ بإذْنِه سُبحانَهُ، وصارَ مُخْضرًّا، وما هوَ إلّا زَمَنٌ يَسيرٌ حتّى صارَ هَذا النَّباتُ يابِسًا مُتَكَسِّرًا تُطَيِّرُهُ الرّياحُ وتُفَرِّقُهُ في كُلِّ جِهَةٍ، وكانَ اللّهُ ﷻ ذا قُدْرَةٍ عَظيمَةٍ عَلى كُلِّ شَيْءٍ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دِلالَةُ الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾:

الانْغِماسُ في نَعيمِ الدُّنْيا يَحولُ دونَ النَّظَرِ في أَدِلَّةِ الإسْلامِ

الواوُ في قَوْلِ اللّه ﷻ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ اسْتِئنافيَّةٌ، والجُملَةُ بعدَها مُسْتَأْنفةٌ[2]، وذلكَ أنَّهُ لَمّا كانَ أَعْظَمَ حائلٍ بينَ المُشْركينَ وبَيْنَ النَّظَرِ في أَدِلَّةِ الإسْلامِ انْغماسُهُم في الإقْبالِ عَلى الحَياةِ الدُّنْيا ونَعيمِها، وكانوا يَحْسبونَ هَذا العالَمَ غَيْرَ آيِلٍ إلى الزَّوالِ؛ أمَرَ اللّهُ سبحانه رَسولَهُ ﷺ بأنْ يَضْرِبَ لَهُم مَثَلَ هذه الحَياةِ الدُّنْيا التي غرَّهُم زخرُفُها[3].

الغرضُ منَ التَّعبيرِ بفعلِ الأمر ﴿وَٱضْرِبْ﴾:

فعلُ الأمر ﴿وَٱضْرِبْ﴾ الغرضُ مِنَ التَّعبيرِ به إرشادُهُ ﷺ إلى إقناعِ الكافرين جَرْيًا على عاداتِهم في ضرب الأمثالِ.

الغَرَضُ مِنْ تَقْديمِ ﴿لَهُم﴾ عَلى المَفْعولِ به ﴿مَّثَلَ﴾:

الرَّدُّ عَلى أَهْلِ الشِّرْكِ الموغِلينَ في نَعيمِ الدُّنْيا الخادِعِ

قُدِّمَ الجارُّ والمَجْرورُ ﴿لَهُم﴾ عَلى المَفْعولِ به ﴿مَّثَلَ﴾ في قَوْلِ اللّه ﷻ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لقَصْدِ الاهْتِمامِ بمَنْ ضُرِبَ المَثَلُ لأَجْلِهِم؛ ردًّا عَلى المُشْركينَ الموغِلينَ في نَعيمِ الدُّنْيا؛ لإزالَةِ هَذا الحاجِزِ الذي مَنَعَهُم عَن تَدَبُّرِ أَدِلَّةِ الإسْلامِ.

---

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 30، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 298.
(2) الدّعاس، إعراب القرآن: 2/ 220.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 330.

دِلالَةُ أُسلوبِ التَّمثيلِ في السّياقِ:

الدِّلالَةُ عَلى سُرْعَةِ زَوالِ الدُّنْيا، بَعْدَ نَضارَتِها وحُسْنِها

في المَقْصودِ بالمَثَلِ الوارِدِ في قَوْلِ اللّه تَعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قَوْلانِ[1]:

أَحَدُهما: أَنَّ اللّهَ سبحانه ضَرَبَهُ مَثَلًا للحَياةِ الدُّنْيا؛ لقَصْدِ الدّلالَةِ عَلى سُرْعَةِ زَوالِها بَعْدَ نَضارَتِها وحُسْنِها.

والآخَرُ: أنَّ اللّهَ ﷻ ضَرَبَهُ مَثَلًا لأَحْوالِ أَهْلِ الدُّنيا، وأنَّ معَ كُلِّ نِعْمَةٍ نِقْمَةً، ومعَ كُلِّ فرْحَةٍ تَرْحَةً، والمَثَلُ مُحْتَمِلٌ للمَعْنَيَين، ولا تنافيَ بَيْنَهُما، فلا مانِعَ مِن حَملِ المَثَلِ عَلى المَقْصِدَيْنِ معًا، وأنَّهُ ضَرْبُ مَثَلٍ للدُّنيا وسُرْعَة انْقِضائِها، وضَرْبُ مَثَلٍ لأَهْلِها وتَغَيّرِ حالِهم.

دِلالَةُ وصْفِ الحَياةِ بـ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾:

الحَياةُ الدُّنْيا حَياةٌ ناقِصَةٌ غَيْرُ أَبَدِيَّةٍ

هَذا التَّعبيرُ ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يُطلَقُ عَلى مُدَّةِ بَقاءِ الأَنْواعِ الحيَّةِ عَلى الأَرْضِ، وبَقاءِ الأَرْضِ عَلى حالِها، ويُطلَقُ أَيْضًا عَلى مُدَّةِ حَياةِ الأَفْرادِ، أَيْ: حَياةِ كُلِّ أحدٍ، وفي وصْفِ الحَياةِ بـ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ في قَوْلِ اللّه ﷻ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ إيماءٌ إلى أنَّ مُدَّةَ هذه الحَياةِ قصيرةٌ غيرُ أبديَّةٍ؛ إذْ هيَ دُنْيا غَيْرُ عُلْيا، أي: غيرُ كامِلَةٍ، وفي وصْفِها بـ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ كَذلك إشارةٌ إلى حُضورِها، لأنَّ لَفْظَ الدُّنيا يَرِد بمَعْنى: القَريبَةِ، فيَكونُ مَعْنى ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ الحاضِرَةَ غَيْرَ المُنْتَظَرَةِ، وفي ذَلِكَ كِنايَةٌ عَن حُضورِها بالقُرْبِ، ووَصْفُها بـ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ فيه احْترازٌ عنِ الحَياةِ الآخِرَةِ أيضًا[2].

الغَرَضُ مِنْ تَنْكيرِ لَفْظِ ﴿كَمَآءٍ﴾:

الإشارَةُ إلى كَثْرَةِ الماءِ النّازِلِ مِنَ السَّماءِ

نُكِّر لفظُ ﴿كَمَآءٍ﴾ من قَوْلِ اللّه ﷻ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ للدّلالَةِ عَلى التَّكْثيرِ، أَيْ: كَماءٍ كَثيرٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماء، كَما يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قولُهُ بَعْدُ: ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ

(1) الماورديّ، النّكت والعيون: 3/ 309 - 310.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 330 - 331.

ٱلْأَرْضِ﴾؛ فإنَّ ذِكْرَ اخْتِلاطِ نباتِ الأرضِ على اتِّساعِ رُقْعَتِها بالماءِ إيماءٌ إلى كَثْرَةِ الماءِ النّازلِ مِنَ السَّماءِ[1].

سرُّ تَقْييدِ النّكرةِ بجملةٍ فعليّةٍ صفةً لها:

في قولِه تعالى: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ﴾، نلاحظُ إتباعَ النّكرةِ بجملةِ الصِّفةِ؛ تبْيينًا لقُدرةِ اللّه عزّ وعلا، وأنَّ الماءَ الّذي هو حياةُ كلِّ شيءٍ، لا يُمكنُ لأحدٍ امتلاكُه، ولا التَّحكُّمُ فيه، ويؤيِّدُهُ إسنادُ الإنزالِ إلى الضّميرِ الدّالِّ على التّعظيمِ، وفي التَّعبيرِ بالإنزالِ بيانٌ لبُعْدِ جهةِ نزولِه، وهي لا تقعُ في مقدورِ مخلوقٍ، وفي ذلك طمأنةٌ لعبادِ اللّه المؤمنين، وتحذيرٌ للكافرين.

الماءُ ليس في مقدورِ مخلوقٍ، وإنّما هو منَ اللّه العظيم وحدَه

دِلالَةُ إسْنادِ الفِعْلِ (أَنْزَلَ) إلى ضَميرِ العَظَمَةِ:

أُسْنِدَ فِعْلُ الإنْزالِ إلى الضَّميرِ (نا) الدّالِّ على العَظَمَةِ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ مِنْ قولِ اللّه ﷻ: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ للدّلالَةِ على عَظَمَةِ هَذا الإنْزالِ، وعَظَمَةِ مُنْزِلِه ﷻ، أَيْ: أَنْزَلْنا هَذا الماءَ بعَظَمَتِنا وقُدْرَتِنا الباهِرَةِ بَعْدَ يُبْسِ الأَرْضِ وجَفافِ ما فيها[2].

عَظَمَةُ إنْزالِ الماءِ، مُنبِئَةٌ بعَظَمَةِ مُنْزِلِه سُبْحانَهُ

مَعْنى ﴿مِنَ﴾ ودِلالَتُها في ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

﴿مِنَ﴾ في قَوْلِ اللّه تعالى: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ حَرْفٌ دالٌّ على الابْتِداءِ، أَيْ: إنَّ مُبْتَدَأَ إنْزالِ الماءِ حاصلٌ مِنَ السَّماءِ، وفي تَقْييدِ النُّزولِ بكَوْنِه مِنَ السَّماءِ تَنْبيهٌ على قُدْرَةِ اللّه سبحانه الباهِرَةِ في إمساكِه في العُلوِّ، وإنْزالِه في وقْتِ الحاجَةِ على الوَجْهِ الذي يَنْفَعُ العِبادَ[3].

جَلالَةُ القُدْرَةِ الإلَهيَّةِ، في إمساكِ الماءِ وإنْزالِه وقْتَ الحاجَةِ

مَعْنَى الفاءِ ودِلالَتُها في ﴿فَٱخْتَلَطَ﴾:

الفاءُ في ﴿فَٱخْتَلَطَ﴾ مِنْ قولِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 525.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 68.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 68.

ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ عاطفةٌ دالَّةٌ على التَّرتيبِ مَعَ التَّعقيبِ مِنْ غَيْرِ مُهْلةٍ، وذلكَ دالٌّ عَلى قِصَرِ المُدَّة التي اسْتَمَرَّ فيها النَّباتُ نَضِرًا بَديعًا، ثُمَّ لَم يَلْبَثْ أَن صارَ هَشيمًا تَذْروهُ الرِّياحُ[1].

الدّلالةُ على قِصَرِ مُدَّةِ نَضارَةِ النَّباتِ وخُضْرَتِهِ

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ الماضي ﴿فَٱخۡتَلَطَ﴾:

عُبِّر عَن الاخْتِلاطِ بصيغَةِ الفِعْلِ الماضي ﴿فَٱخۡتَلَطَ﴾ من قَوْلِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ للدّلالَةِ عَلى تَحَقُّق هَذا الاختلاطِ، ويَلْزَمُ مِنْهُ تَحَقُّقُ صورَةِ المَثَل في أَذْهانِ السّامِعينَ.

تَحْقيقُ صورَةِ المَثَلِ، وتَجْليةُ الصّورةِ في البيانِ

دِلالَةُ الاتِّساعِ في قَوْلِهِ: ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾:

قولُ اللّه ﷻ: ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ معناه: اشْتَبَكَ بعضُه ببَعْضٍ لكَثْرَته وتكاثُفه بسَبَبِ كَثْرَةِ سَقْيِ الماءِ إيّاهُ، أو معناه: دَخَلَ الماءُ في نَباتِ الأَرْضِ حتّى رَوِيَ، وكانَ مُقْتَضى الظّاهِرِ أَن يَرِدَ النَّظْم القُرآنيّ: فاخْتَلَط بنَباتِ الأَرْض؛ لأنَّ الشّائِعَ في اسْتِعْمالِ اللُّغَةِ دُخولُ الباءِ عَلى الكَثيرِ غَيْرِ الطّارئِ، وإنْ صَدقَ على كُلٍّ مِنَ المُتداخِلَيْن أنَّه مُخْتَلِطٌ بحسَبِ الوَضْعِ اللُّغَويِّ، إلّا أنَّه عُدِلَ عن مُقْتَضى الظّاهر إلى ما ورَدَ في الآيَةِ الكَريمَةِ عَلى سَبيلِ الاتِّساع لإرادَةِ المُبالَغَة في كَثْرَةِ الماءِ، حتّى كأَنَّ الماءَ هو الأَصْلُ الكَثيرُ، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ الماءَ هو السَّبب الأساسُ في ظُهورِ هَذا النَّبات وفي بُلوغِه قوَّتَهُ ونضارتَهُ[2].

الماءُ هوَ السَّبَبُ الأَساسُ في ظُهورِ النَّباتِ وبُلوغِه نَضارَتَهُ

سرُّ تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿بِهِۦ﴾:

في تقديمِ شبْه الجملة ﴿بِهِۦ﴾ على الفاعل ﴿نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ تخصيصٌ يُصوِّرُ شوقَ النّبات إلى الماء، فهو سببُ حياتِه، وباعثُ روحِه، فقُدِّمَ لأنّه المطلوبُ، من باب تقديمِ المطلوبِ على الطّالب.

المطلوبُ المرغوبُ، مُقدَّمٌ على الطّالب لبيانِ شوقِه إليه

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 526.

(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 271، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 525.

سرُّ الإضافةِ في قوله: ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾:

أُضيف النَّباتُ إلى الأرض تخصيصًا له بها، وبيانًا لعلاقةِ النَّباتِ بالأرض كأنَّه جزء منها، ولبيانِ تأثيرِ الأرض - بقدر الله - في النَّباتِ، فكلُّ نباتٍ تُعَدُّ الأرضُ أُمَّهُ.

التّخصيصُ بيانٌ لسببِ الإنعام، مِنَ المُنعِمِ العلّامِ

مَعْنى الفاءِ ودِلالَتُها في ﴿فَأَصْبَحَ﴾:

الفاءُ في ﴿فَأَصْبَحَ﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ﴾ حرفُ عَطْفٍ، وهو دالٌّ على التَّرْتيبِ مَعَ التَّعْقيبِ مِن دونِ مُهلةٍ، وفي ذلكَ إِشْعارٌ بسُرْعَةِ زَوالِه وصَيْرورَتِه بتِلْكَ الصِّفةِ؛ وهي كونُهُ هَشيمًا، وذَهَب بَعْضُ أهلِ العِلْمِ إلى أنَّ الفاءَ فصيحةٌ؛ لكَوْنِها أَفْصَحَت عَن مقدَّرٍ، والتَّقْديرُ: (فزَها النَّباتُ ومَكَث مدَّةً على الوَجْه الحَسَنِ، فأَصْبَحَ بَعْدَ زَهْوِه ونَضارَتِه هَشيمًا)[1].

تَحَوُّلُ النَّباتِ بَعْدَ نَضارَتِه وزَهْوِه إلى هَشيمٍ

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالماضي ﴿فَأَصْبَحَ﴾:

عُبِّر بالفِعْلِ الماضي ﴿فَأَصْبَحَ﴾ من قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ﴾ للدّلالَةِ عَلى تَحَقُّقِ صَيْرورَةِ النَّبات عَلى هَذا الوَجْهِ، والفِعْلُ ﴿فَأَصْبَحَ﴾ هَهُنا بمَعْنى: صارَ، ولا يُرادُ به تَقْييدُ الخَبَرِ بوَقْتِ الصَّباح، وذهَبَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ إلى أنَّها تدلُّ على التَّقييدِ بوَقْتِ الصَّباح؛ إذِ الآفاتُ السَّماويَّةُ أَكْثَرُ ما تَنْزِلُ ليلًا، إلّا أنَّه تُعُقِّبَ ذلكَ بأنَّه ليس في الآيَةِ ما يَقْتَضي أنَّ صَيْرورَةَ النَّباتِ هَشيمًا كانَ بسَبَبِ آفَةٍ سَماويَّةٍ، وإنَّما المُرادُ بَيانُ ما يَؤولُ إلَيْه النَّباتُ بَعْدَ النَّضارَةِ مِنَ اليُبْسِ والتَّفَتُّت[2].

بَيانُ ما يَؤولُ إلَيْه النَّباتُ بَعْدَ النَّضارَةِ، مِنَ اليُبْسِ والتَّفَتُّتِ

الغرضُ من إضمارِ اسم ﴿فَأَصْبَحَ﴾:

في التَّعبيرِ باسم ﴿فَأَصْبَحَ﴾ ضميرَ غَيْبةٍ إلماعٌ إلى الخبر، الّذي أفاد تصريحًا، أنّه صار في مَضيعَةٍ، كأنْ لم يكن، فشاكَلَ الحالُ المقالَ بسَترِ الضّمير، كما غُيِّبَ في الواقع بالهَشْمِ والتَّذرية.

المُغَيَّبُ بالتَّذْريةِ والهَشْمِ، غُيِّبَ مِنَ الظُّهورِ في القولِ تشاكُلًا

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 271.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 185، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 271.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بصيغَةِ (فَعيلٍ) في ﴿هَشِيمًا﴾:

الدِّلالَةُ عَلى شِدَّةِ الهَلاكِ الحالِّ بالنَّباتِ

﴿هَشِيمًا﴾ مِن قَوْلِ اللهِ سُبْحانَه: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ﴾ عَلى زِنَةِ فعيلٍ، وهو بمَعْنى مَفْعولٍ، أي: فأَصْبَحَ مَهْشومًا، بمَعْنى: صارَ مُحَطَّمًا مَكْسورًا مُفَتَّتًا[1]، وفي إيثارِ التَّعْبيرِ بصيغَةِ فعيلٍ إيماءٌ إلى شِدَّةِ الهَلاكِ الواقِعِ عَلى النَّباتِ.

سرُّ تقييدِ خبرِ ﴿فَأَصْبَحَ﴾، بجملةِ ﴿تَذْرُوهُ﴾:

في الجُمَلِ في الصِّفاتِ ما لا تُفيدُه المفرداتُ، فقد أفادَت الجملةُ وقوعَ الذَّرْوِ عليه، فكأنَّهُ خبرٌ بعدَ الخبر، ثمّ أُسندَ الذَّرْوُ إلى الرّياح؛ لبيانِ شدَّةِ الفاعلِ على المفعولِ به؛ الضّميرِ العائدِ على الخبر، وكلُّ ذلك يفوتُ لو قيل: فأصبح هشيمًا مَذْروًّا.

فـي التَّعبيرِ بالجُملِ فوائدُ أغزرُ في المَحْوِ والذَّهابِ

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿تَذْرُوهُ﴾:

في التَّعْبيرِ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿تَذْرُوهُ﴾ مِن قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ﴾ تنبيهٌ عَلى اسْتِمرارِ تَلاعُبِ الرّياح بهِ، وفي ذلكَ دَلالَةٌ عَلى شِدَّةِ تَحَطُّمِ النَّباتِ وتَفَتُّتِه.

بَيانُ شِدَّةِ تَحَطُّمِ النَّباتِ وتَفَتُّتِهِ، كما يَتَحطَّمُ متاعُ الدُّنيا وزُخْرُفُها

الغرضُ مِن التَّعبيرِ بالفاعل ﴿ٱلرِّيَاحُ﴾:

تعريفُ المُسنَدِ إليه باللّام للجنس، كأنَّ الرّياحَ كلَّها اجتمعَتْ عليه وطوَّحَتْ به، فلم يبقَ منه شيءٌ مُجتمِعٌ، من بعدِما كان مُجتمعًا. فالتّعريفُ يفيدُ الاستغراق وإحاطة النّوع.

دلالة خَتْمِ الآيَةِ بالتّعبيرِ عنِ اقتدار الله:

التَّذْكيرُ بعَظيمِ قُدْرَةِ اللهِ سُبْحانَهُ، عَلى خَلْقِ الأَشْياءِ وأَضْدادِها

قولُ اللهِ تَعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ جُملَةٌ اعْتِراضيَّةٌ في آخِرِ الكَلامِ، والمُرادُ بها التَّذْكيرُ بقُدْرَةِ اللهِ ﷻ عَلى خَلْقِ الأَشْياءِ وأَضْدادِها، وجَعْلِ أوائِلِها تُفْضي إلى أَواخِرِها، وتَرْتيبِه أَسْبابَ الفَناءِ عَلى أَسْبابِ البَقاءِ، وذَلِكَ اقْتِدارٌ باهِرٌ بَديعٌ، وقَد دُلَّ عَلى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 331.

ذَلِكَ بأَكْمَلِ وجْهٍ؛ وذَلِكَ بصيغَةِ العُمومِ في قَوْلِه: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وهوَ بهَذا التَّعْميمِ أَشْبَهُ بالتَّذييل[1].

سِرُّ التَّعْبيرِ بفِعْلِ الكَوْنِ ﴿وَكَانَ﴾:

في التَّعْبيرِ بفِعْلِ الكَوْنِ ﴿وَكَانَ﴾، مِنْ قول اللّه ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾، إشارَةٌ إلى أنَّ اقتدارَ اللّه سُبْحانَهُ، حاصِلٌ في الأَزَلِ قَبْلَ وُجودِ الإنْسانِ، وهو دائِمٌ مُسْتَمِرٌّ إلى أَبَدِ الآبِدينَ[2].

اقْتِدارُ الله تعالى وصْفٌ مُلازِمٌ لَهُ أَزَلًا وأَبَدًا

الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ بالاسْمِ الأَعْظَم ﴿ٱللَّهُ﴾:

عُبِّرَ عن اسْمِ ﴿وَكَانَ﴾ بالاسْمِ الأَحْسَنِ ﴿ٱللَّهُ﴾ مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾؛ لكَوْنِه الاسْمَ الجامِعَ لصِفاتِ الجلالِ والكَمالِ والجمالِ، والاقْتِدارُ مِن حيثُ هو فرْدٌ مِن أفرادِ تِلْكَ الأَوْصافِ، وإنّما عُبِّرَ به لتربيةِ المَهابةِ في سياقِ التَّحذير.

اسْمُ الجلالة، جامِعٌ لصِفاتِ الجَلالِ والجَمالِ والكَمالِ

إيثارُ التَّعْبيرِ بلفظِ ﴿مُّقْتَدِرًا﴾ عَلى (قَدير):

آثَرَ البيانُ القُرْآنيُّ التَّعْبيرَ بـ﴿مُّقْتَدِرًا﴾ في قَوْلِ اللّه ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾؛ لكَوْنِه يدلّ على تَمامِ القُدْرَةِ وكَمالِها؛ إذِ المُقْتَدِرُ هو القَوِيُّ القُدْرَةِ الكاملُ فيها[3]، وذلكَ أَنَّ القادِرَ: اسْمُ فاعِلٍ مِن قَدَرٍ، والقَديرَ: فعيلٌ، يُؤتى به لقصْدِ المُبالَغَةِ في بيانِ القُدْرَةِ، وأمّا المُقْتَدِرُ؛ فمشتقٌّ مِنَ الفِعْلِ: اقْتَدرَ؛ وهوَ أَبْلَغُ الثَّلاثَةِ؛ إذ زيادةُ المَبْنى تدلُّ على زيادة المَعْنى[4].

الدّلالَةُ عَلى كَمالِ القُدْرَةِ وتَمامِها

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرّياحُ والرّيحُ:

الرّياحُ جَمعٌ، والرّيحُ: مُفْرَدٌ، وكِلاهُما واردٌ في القُرْآنِ الكَريم،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 332.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 520.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 225، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 332.
(4) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: (قدر).

الرّياحُ للرَّحْمَةِ، والرّيحُ للعَذابِ، فـــي غـــالِـــبِ الاسْـتِـعْـمـالِ القُرْآنيِّ

والغالِبُ في الاسْتِعْمالِ القُرْآنيِّ: اسْتِعْمالُ الرّياحِ لإرادَةِ الرَّحْمَةِ والامتِنانِ، والرّيحِ لإرادَةِ العَذابِ، ووَجَّهَهُ ابْنُ عَطيَّةَ بأَنَّ "ريحَ العَذابِ شَديدَةٌ مُلْتَئِمَةُ الأَجْزاءِ، كَأَنَّها جِسْمٌ واحِدٌ، وريحَ الرَّحْمَةِ لَيِّنَةٌ مُتَقَطِّعَةٌ، فلِذَلِكَ هيَ رياحٌ"[1] هَذا مُقْتَضى اسْتِقْراءِ أَساليبِ القُرْآنِ الكَريم، وهو شَيْءٌ مُطَّرِدٌ في القُرْآنِ إلّا في مَوْضِعِ سورَةِ يونُسَ، ولَعَلَّ أَقْدَمَ مَنْ أُثِرَ عَنْهُ هَذا التَّفريقُ هوَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رضي الله عنه، فقَدْ قالَ: "كُلُّ شَيْءٍ في القُرْآنِ مِنَ الرّياحِ؛ فهيَ رَحْمَةٌ، وكُلُّ شَيْءٍ في القُرْآنِ مِنَ الرّيحِ؛ فهوَ عَذابٌ"[2].

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/ 233.

(2) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: 1/ 275.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»